مفاهيم إسلامية ينبغي أن تصحح (3)

الإيمان والدين

بين النظرية والتطبيق

د هشام صقر

الإيمان والدين

بين النظرية والتطبيق

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد،

فإن هذا هو الكتاب الثالث في هذه السلسلة، وقد كان هو الفصل الأول في كتاب كبير نسبيا فيه محتوى الكتب الثلاثة، ولكن نصحني بعض الاخوة بالتقسيم مع تأخير هذا الموضوع في الطرح حتى لا يظن أنه التناول التقليدي للإيمان وما لهذا قصدت أصلا، إن الغرض من هذه الكتابات هو تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة السائدة الآن، ثم تصحيح الممارسات الخاطئة تطبيقيا لها، والتي تسببت في كوارث نعاني منها حتى اليوم.

ينقسم الكتاب إلى فصلين الأول منهما هو أصول الإيمان، ويشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الالوهية، وتوحيد الأسمات والصفات، والحكم بما أنزل الله، والكفر بالطاغوت، والولاء والبراء، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، مع بيان بعض الإشكاليات التطبيقية المعاصرة لها.

ويتناول الفصل الثاني مفهوم العبودية، ومفهوم الدين، وصور من الشرك في زماننا المعاصر يجب الانتباه إليها والحذر من الوقوع فيها لخطورتها.

أسأل الله العلي الكريم ان يتقبل هذا العمل مني، وأن يجعله خالصا لوجهه، وأن يجزي كل من أعانني عليه خيرا كثيرا، وأن ينفعني ومن قرأه بما فيه، وما كان فيه من خير فمن الله، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمني، واستغفر الله عليه، إنه هو الغفور الرحيم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

هشام صقر \ ماليزيا \ مارس 2020.

الفصل الأول

أصول الإيمان

مقدمة

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية وحده هو أصل الدين، ولهذا جاء الأنبياء كلهم يدعون إلى هذا الإيمان والتوحيد، ولهذا فإن تكوين الشخصية الإسلامية الصحيحة يبدأ من فهم والتزام الإيمان والتوحيد الخالص لله رب العالمين، والالتزام به عمليا، وهذا ما تعلمناه من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويدخل في الإيمان ألا نشرك بالله شيئا، يقول الله سبحانه وتعالى (قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (آل عمران 64).

وليس هناك طريق لفهم وتحقيق العقيدة الإسلامية إلا القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما فعل أسلافنا رضي الله عنهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وبمراجعة القرآن والسنة، فإن الآيات التي تبين أصول الإيمان تنقسم إلى آيات تتعلق بالربوبية، وبالألوهية، وبالأسماء والصفات، وبالحكم بما أنزل الله، وبالكفر بالطاغوت، وبالولاء والبراء، وبالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب المنزلة والقدر، ولذا سيكون الحديث بتركيز واختصار عن كل من هذه الأصول في هذا الجزء.

أولا : توحيد الربوبية

معنى التوحيد

التوحيد لغة: مصدر وحَّد. والواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد (ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص 90)، فلان واحد دهره أي لا نظير له (الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 548)، والتوحيد على وزن تفعيل، ومعناه الحكم والعلم بأن الشيء واحد، والتفعيل في كلمة التوحيد يدل على المبالغة والتكرار، أي بالغت في وصف الله تعالى بالوحدانية (إسماعيل التيمي، الحجة في بيان الحجة، ج 1، ص 331-332).

التوحيد اصطلاحا: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا، وصفات وأفعالا (السفاريني، لامع الأنوار البهية، ج 1، ص 57). ويتضمن في هذا المصطلح توحيد الله وحده وإفراده بالعباده ونفي الشريك عنه سبحانه، فلا طاعة ولا خضوع ولا استسلام إلا لله وحده، وهذا التوحيد هو لب الإيمان الذي نادى الله به سبحانه عباده يأأيها الذين آمنوا.

والربوبية تتعلق بأفعال الله الخالق، الرزاق، المحيي، المميت، المُتصرّف، والمُصرّف لشؤون جميع الخلق، **والألوهية** تتعلق بأفعال الإنس والجن، وعباداتهم التي يجب أن تتوجه حصراً وبكل إخلاصٍ لله وحده لا شريك له؛ بما أنه هو المُدبر، والمصرّف لشؤون الكون وما فيه من مخلوقات.

ومن أهم الأعمال القلبية التي يتحقق بها كمال التوحيد الرضا، وفي سورة الأنعام، سورة التوحيد العظمى، ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله:

ا- الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد **(قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)** (الأنعام 164).

ب- الرضا بالله حكما لا شريك له في التشريع والطاعة **(أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)** (الأنعام 114).

ج- الرضا بالله وليا لا شريك له في محبته وموالاته **(قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** (الأنعام 14).

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا) مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام (من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً، غفرت له ذنوبه) مسلم.

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية:

لغة: قال ابن منظور: الربُّ يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رَبُّ كذا. وقال: ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه، ويقال فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال (محمد إبراهيم الحمد، توحيد الربوبية، ص 8).

اصطلاحا: الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته (محمد إبراهيم الحمد، توحيد الربوبية، ص 7).

المبحث الثاني: الأدلة على ربوبية الله

الربوبية في القرآن الكريم :

أولا: أن الله هو الرب: قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَهِ رَبِ الْعالَمِينَ)، قال ابن كثير (رب العالمين والرب هوالمالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى. ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم) (تفسير ابن كثير، الفاتحة).

ثانيا: أن الله هو الرازق: قوله تعالى (إِنَ اللَهَ هُو الرَزَاقُ ذُو ٱلْقُوَةِ الْمتِينُ) الذاريات. قال ابن كثير: ومعنى الآية: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهوخالقهم ورازقهم (تفسير ابن كثير، الذاريات).

ثالثا: أن الله هوالمالك: قوله تعالى (إِنَماَ أَمرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئاَ أَنْ َ يقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَذِي بِيَدِهِ َ ملَكُوتُ كُلِ شَيْءٍ َ وِإِلَيْهِ ترْجعُونَ) يس. قال ابن كثير (أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهوالعادل المتفضل) (تفسير ابن كثير، يس).

قال الرسول صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى (أنا الملك، أين ملوك الأرض)) (صحيح البخاري، تفسير آية (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة).

رابعا: ربوبية الله تشمل الخلق والأمر: قال الله عز وجل (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الأعراف 54. قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كلّ ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمرَه، ألا لله الخلق كله، والأمرُ الذي لا يخالف ولا يردّ

أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر، تبارك الله معبودُنا الذي له عبادة كل شيء، رب العالمين) (تفسير الطبري، الأعراف).

دلالة الفطرة: (الله سبحانه فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه) (محمد إبراهيم الحمد، توحيد الربوبية، ص 12)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ولما كان الإقرار بالصانع فطرّياً كما قال صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هوالذي يعرف ويعبد (مجموع الفتاوى لابن تيمية)، قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا).

دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً، قال تعالى (وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وِإلَيْهِ الْمَصِيرُ) (التغابن 4)، وقال: (وَنَفْسٍ وَما سَوَاَها) (الشمس).

دلالة الآفاق: كما قال سبحانه (سَنُرِيهِمْ آَياتِنا فِي الآفَاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حتَى يتَبَيَنَ لَهُمْ أَنَهُ الْحَقُ أَوَلمْ يَكْفِ بِربِكَ أَنَهُ عَلى كُلِ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت). فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب، لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم.

إشكاليات في توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب عز وجل، **ويضاده أيضاً** اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إفناء، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير أو رزق، أو دفع شر أو خوف، أو غير ذلك من معاني الربوبية، **أو اعتقاد منازع له** في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك.

وكما يضاده أيضاً اعتقاد مشرع مع الله عز وجل لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي، فخضوع المسلم لأي مناهج أو نظم أخرى غير الإسلام سواء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، مثل اللبرالية والعلمانية والديموقراطية والشيوعية والقومية ومثلها، هو نوع من الشرك أو الإلحاد، كما سيأتي في مبحث آخر، وهو يتنافى مع إفراد الله جل وعلا في كل شيء ونفي الشريك أو الند له.

ثانيا : توحيد الألوهية

تعريف توحيد الألوهية

هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان (معارج القبول شرح سلم الأصول1/ 31).

ويقصدون بتوحيد الألوهيَّة: أي توحيده بأفعال العباد، كالدعاء والخوف والرَّجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذَّبح والنَّذر، وغيرها من أنواع العبادة، والتي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسَلاً، فضلاً عمَّن سواهما.

وهو أول دعوة الرسل جميعا (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) المؤمنون 23.

ويشمل توحيد الألوهية كلا من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فكلاهما من لوازمه، كما يشمل كل مكونات العقيدة كالحكم بما أنزل الله، والولاء والبراء، والكفر بالطاغوت، لإنه يستلزم العبودية التامة، والتي هي الخضوع والاستسلام، والاتباع لأمر الله ورسوله.

آيات توحيد الألوهية

ا- قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة)، وهذه الآية لا تتعارض مع الاستعانة بالمَخلوق بما يقدر عليه بتوفيق الله.

ب- قوله تعالى (وَلِلَّـهِ غَيبُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَإِلَيهِ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّهُ فَاعبُدهُ وَتَوَكَّل عَلَيهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلونَ)(هود 123)، فالأمر كله لله، والمرجع لله عالِم غيب السموات والأرض، وبما أنّ الأمر لله ينبغي على الإنسان أن يعبده وحده، ويتوكّل عليه؛ فهو الذي سيوفي كل عاملٍ جزاء عمله يوم الحساب.

ج- قوله تعالى (فَإِن تَوَلَّوا فَقُل حَسبِيَ اللَّـهُ لا إِلـهَ إِلّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظيمِ) (التوبة 129)، فالله هو كافي العبد في كل ما أهمّه، وهو النافع الضار؛ فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه.

د- قوله تعالى (رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَينَهُما فَاعبُدهُ وَاصطَبِر لِعِبادَتِهِ هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم 66)، فالله هو ربُ السموات وربُ الأرض، والأمر هنا بعبادته سبحانه وتعالى، ثم يُتبع الأمر بالعبادة بسؤالٍ إنكاري، بقوله: هل تعلم له سميّاً، أي: هل تعلم له نظيراً يستحقّ أن يُسمى خالق، وعالم، وقادر، ليُقدّم إثباتاً جديداً أنّه لا يستحق العبادة إلا الخالق، القادر، العالم بكل ما كان، وما يكون.

هـ- قوله تعالى (وَما تَوفيقي إِلّا بِاللَّـهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنيبُ) (هود 88)، الآية هنا حكاية عن نبي الله شعيب عليه السلام، حيث جعل توكّله على الله، فالتوكل عبادةٌ، والعبادة يجب أن تكون خالصةً لله سبحانه وتعالى دون سواه.

و– قوله تعالى (وَاعبُد رَبَّكَ حَتّى يَأتِيَكَ اليَقينُ) (الحجر 99)، فالآية فيها أمرٌ بِعبادة الله سبحانه وتعالى حتّى الموت، ولو اكتَفى بالأمرِ بالعِبادة بقوله (واعبد ربّك) لحصل تحقيق الأمر بالعبادة لمرّةٍ واحدةٍ، ولكن جاء الأمر بأن (اعبد ربّك حتى يأتيك اليقين)، ليدلّ الأمر باستمرار العبادة إلى المَوتِ ومُفارقة الحَياة الدُّنيا.

ز– قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء 25)، وهو أول دعوة الرسل وآخرها.

ل– كما قال سبحانه (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل 36).

ومن أجل توحيد الألوهية قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهل البدع والخرافات، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل الله، وهو أول الدين وآخره، بل هو حقيقة دين الإسلام، وهو يشمل باقي أنواع التوحيد.

والأدلة على أن أصل الواجبات هو عبادة الله بما شرع، يمكن تلخيصها في أربعة أدلة عامة:

الدليل الأول: هو أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد الله جلّ وعلا وإخلاص العبادة له كما قال الله تعالى **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)** (النحل 36)، وقال **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا**

نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء 25)، ولقد وردت آيات كثيرة تبين أن آحاد الرسل يأتون قومهم فيقولون لهم **(اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)**.

الدليل الثاني: إن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة، كما قال الله جل وعلا **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (الذاريات: 56)، فقد بين الله جل وعلا أنه خلق الناس لهذه الغاية وهي عبادته، والعبادة خضوع واتباع كما سبق، وبين سبحانه أنه فطر الناس على الإقرار به ولذلك فإنه أول ما يأمرهم يأمرهم بعبادته كما قال **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (البقرة 21).

الدليل الثالث: الشهادتان : وهو كما قال أبو المظفر بن السمعاني: (تواترت الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين) (مختصر الانتصار لأهل الحديث، ضمن صون المنطق والكلام للسيوطي ص: 172).

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) البخاري ومسلم، وقوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) البخاري ومسلم، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند بيعة الرجال والنساء أول ما يبدأ به في البيعة قوله (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً) البخاري ومسلم.

الدليل الرابع: الإجماع : وهذا الإجماع حكاه ابن المنذر بقوله (أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل: أنه مسلم) (نقله عنه شيخ الإسلام في (درء تعارض العقل والنقل) 7/8).

فضائل تحقيق توحيد الألوهية وآثاره

ا- من أعظم الأسباب **لتكفير السيئات والذنوب**، ويدل على هذا ما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل: ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة بقراب الأرض)، ومن معنى الحديث وجوب التوبة إلى الله، والحذر من الوقوع في الشرك الظاهر والخفي.

ب- وهو السبب الأعظم **لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما**، كما في قصة يونس عليه السلام ومثلها.

ج- ومن أجل فوائده أنه **يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل،** فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه) البخاري، **وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية**، ويدل على هذا ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن عتبان بن مالك الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال (إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله).

د- **تحصيل شفاعة النبي** صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، قال رسول الله (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه) البخاري.

هـ- ومن فضائله أنه **يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم**، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

و- ومن فضائله **حصول الاهتداء الكامل والأمن التام لأهله في الدنيا والآخرة** [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: 82).

إشكاليات في توحيد الألوهية في زماننا المعاصر :

ا- **اتخاذ الهوى إلها** : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (الجاثية 23)، ويشمل الهوى كل أنواع الفلسفات والمناهج والأفكار والنظم المخالفة أو المناقضة للإسلام، مثل العلمانية واللبرالية والديموقراطية

والقومية واليسارية والبراجماتية وغيرها، كما يشمل كل أنواع الشهوات والرغبات الشخصية التي لا توافق الشرع، وكل ذلك يعد من أنواع الشرك.

فيضل الله أصحابها وإن أوتوا علم الأولين والآخرين، على أحد تفسيري على علم، بل ويختم على القلوب والأسماع، ويغشي الأبصار، وليس ذلك إلا للعناد والمكابرة وعدم الخضوع لله ورفض اتباع أمره.

ب- **الولاء لغير المؤمنين** : إذ هي مخالفة عقيدية كبرى تشير إلى التفلت عن منهج الله ودينه، وسيأتي بيانه تفصيلا في الولاء والبراء.

ج- **عدم وجود دار للإسلام تحكم بشريعته** : وهو الحال الآن في الارض كلها، إذ لا يوجد إلا دول علمانية بها أغلبية من المسلمين، لا تقيم دينا ولا تنكأ عدوا، وقد جعل الله الحكم بما أنزل الله مسألة أساسية في العقيدة كما سيأتي بيانه.

د- **النموذج المشوه للإسلام كالإسلام العلماني أو الطقوسي أو الكنسي** : وهذا النموذج هو الشائع الآن في زماننا المعيب، ويقدم بأشكال مختلفة وبحجج متنوعة، وهو نموذج يجعل الإسلام دين فردي يمارس في البيت أو في المسجد، ولا علاقة له بالمجتمع والسياسة والاقتصاد والدستور والقانون، دين يدور حول الفرائض العينية وفقط، ويهمل أو يسوف فرائض الكفاية والتي تمثل الرسالة، وقد شارك العديد من العلماء والدعاة في التوجيه لهذا النموذج إلا من رحم ربك، إما صراحة، أو بادعاء كاذب ماجن أن الحكام الحاليين أئمة تجب طاعتهم، وهم المسؤلون عن فرائض الكفاية، أو في أحسن الحالات بالتركيز

في الحديث والكتابة على فرائض العين ونوافلها وتحسينها، مع الرقائق وتحريك مشاعر الناس، وكل ذلك مطلوب، ولكن كجزء من كل كبير أمر الله به، فتوحيد الألوهية يشمل فرائض العين وفرائض الكفاية على السواء، خاصة في حالة عدم تمام الكفاية فيها.

ثالثا : توحيد الأسماء والصفات

اختلف العلماء في آيات وأحاديث الأسماء والصفات اختلافا كبيرا وصل إلى التفسيق والتكفير والتجريح، وقد تناول الشيخ حسن البنا رحمه الله هذه المسألة في بحث قصير موضوعي يناقش القضية وينصف في حكمه على هذه الاختلافات، فمما يقول في الموضوع:

(انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق:

1 – فرقة أخذت بظواهرها كما هي، فنسبت لله وجوها كوجوه الخلق، ويدا أوأيديا كأيديهم، وضحكا كضحكهم، وهكذا، حتى فرضوا الإله شيخا، وبعضهم فرضه شابا، **وهؤلاء هم المجسمة والمشبهة، وليسوا من الإسلام في شيء، وليس لقولهم نصيب من الصحة،** ويكفي في الرد عليهم، قول الله تبارك وتعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:11)، وقوله تعالى (قُلْ هُواللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (سورة الإخلاص).

2- فرقة عطلت معاني هذه الألفاظ على أي وجه، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقا عن الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، لأن ذلك لا يكن إلا بجارحة، والجوارح يجب أن تنفى عنه سبحانه، **فبذلك يعطلون صفات الله تبارك وتعالى، ويتظاهرون بتقديسه، وهؤلاء هم المعطلة، ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإسلامية: (الجهمية)،** ولا أظن أن أحدا عنده مسكة من عقل يستسيغ هذا القول المتهافت، وها قد ثبت الكلام والسمع والبصر لبعض الخلائق بغير جارحة، فكيف يتوقف كلام الحق تبارك وتعالى على الجوارح، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

هذان رأيان باطلان لا حظّ لهما من النظر، وبقي أمامنا رأيان هما محل أنظار العلماء في العقائد، وهما رأي السلف ورأي الخلف.

مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها:

3 – **أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا:** نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب... الخ، وكل ذلك بمعانٍ لا ندركها، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها، ولاسيما وقد نهينا عن ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره)، قال العراقي: رواه أبونعيم في الحلية بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه، ورواه أبوالشيخ كذلك،

مع قطعهم رضوان الله عليهم بانتفاء المشابهة بين الله وبين الخلق، وإليك أقوالهم في ذلك:

(أ) روى أبوالقاسم اللالكائي في (أصول السنة) عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما قال: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا).

(ب) ذكر الخلال في كتاب (السنة) عن حنبل وذكره حنبل في كتبه مثل كتاب (السنة والمحنة)، قال حنبل: سألت أبا عبد الله: عن الأحاديث التي تروى (إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا) و(إن الله تعالى يرى) و(إن الله يضع قدمه)، وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبوعبد الله: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئا، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء).

(ج) وروى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول (من وصف شيئا من ذات الله عز وجل مثل قوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) (المائدة:64) فأشار بيده إلى عنقه، ومثله قوله (وهو

السميع البصير) فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيء من يديه، قطع ذلك منه، لأنه شبه الله تعالى بنفسه)، ثم قال مالك: (أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يضحي بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله، فكره البراء أن يصف يد رسول الله إجلالا له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء).

(د) وروى أبوبكر بن الأثرم، وأبوعمرو الطلمنكي وأبو عبد الله بن أبي سلمة الماجشون كلاما طويلا في هذا المعنى ختمه بقوله: (فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا، ولا هذا، لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما يصف).

اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهى بك، ولا تجاوز ما قد حدّ لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف، وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة، وسكنت إليه الأفئدة، وذُكر أصله في الكتاب والسنة، وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيناً، ولا تكلفن بما وصف من ذلك قدرا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك

أعظِم تكلّف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، والراسخون في العلم، الواقفون حيث انتهى بهم علمهم، والواصفون لربهم بما وصف به نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمّى منها جحدا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا، لأن الحق ترك ما ترك وسمّى ما سمّى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) (النساء:115).

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها:

4- قدمت لك أن السلف رضوان الله عليهم يؤمنون بآيات الصفات وأحاديثها كما وردت، ويتركون بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى مع اعتقادهم بتنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

فأما الخلف فقد قالوا إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يراد بها ظواهرها، وعلى ذلك فهي مجازات لا مانع من تأويلها، فاخذوا يؤولون (الوجه) بالذات و(اليد) بالقدرة، وما إلى ذلك هربا من شبهة التشبيه، وإليك نماذج من أقوالهم في ذلك:

(أ) قال أبوالفرج بن الجوزي الحنبلي في كتابه (دفع شبهة التشبيه):

(قال الله تعالى (ويبقى وجه ربك)، قال المفسرون: ويبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى (يريدونه وجهه) أي يريدونه، وقال الضحاك وأبو عبيدة (كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا هو).

وعقد في أول الكتاب فصلا إضافيا في الرد على من قالوا أن الأخذ بظاهر هذه الآيات والأحاديث هو مذهب السلف، وخلاصة ما قاله هو أن الأخذ بالظاهر هو تجسيم وتشبيه، لأن ظاهر اللفظ هو ما وضع له فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة، وهكذا.

وأما مذهب السلف فليس أخذها على ظاهرها، ولكن السكوت جملة عن البحث فيها، وأيضا فقد ذهب إلى أن تسميتها آيات صفات وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد في كتاب ولا في سنة، وليست حقيقية، فإنها إضافات ليس غير، واستدل على كلامه في ذلك بادلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

(ب) وقال فخر الدين الرازي في كتابه أساس التقديس:

(واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول أن ظاهر قوله تعالى (ولتصنع على عيني) يقتضي أن يكون موسى مستقرا على تلك العين ملتصقا بها مستعليا عليها وذلك لا يقوله عاقل،

والثاني أن قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين،

والثالث أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة).

(ج) قال الإمام الغزالي في الجزء الأول من كتابه إحياء علوم الدين عند كلامه على نسبة العلم الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأتّى فيه الظهور والبطون، والتأويل وغير التأويل:

(القسم الثالث أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز، ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب .... ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار)، ومعناه أن روح المسجد وكونه معظما، ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة، وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض من نخامة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن، إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته، وهي البلادة والحمق، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس الحمار في معنى البلادة والحمق، وهوالمقصود دون الشكل، وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي، أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)، إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فعلم أنها كناية عن القدرة

التي هي سر الأصابع وروحها الخفي، وكني بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار).

إلى هنا وضح أمامك طريقا السلف والخلف، وقد كان هذان الطريقان مثار خلاف شديد بين علماء الكلام من أئمة المسلمين، وأخذ كل يدعم مذهبه بالحجج والأدلة، ولو بحثتَ الأمرَ لعلِمتَ أنَّ مسافةَ الخُلْف (الاختلاف) بين الطريقتين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ، وأنَّ البحثَ في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ، هي التفويض لله تبارك وتعالى، وهذا ما سنفصله لك إن شاء الله.

بين السلف والخلف:

قد علمت أن مذهب السلف في الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يمروها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها، وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه، وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية، **والأمر أقرب من ذلك، وبيان ذلك من عدة أوجه:**

أولا: اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

ثانيا: كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه.

ثالثا: كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها، وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم، وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل، فاللغة أقصر من أن تواتينا بالألفاظ التي تدل على هذه الحقائق، فالتحكم في تحديد المعاني بهذه الألفاظ تغرير.

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل، وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك حفظا لعقائد العوام من شبهة التشبيه، وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا.

ترجيح مذهب السلف:

ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع، حسما لمادة التأويل والتعطيل، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلا، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.

وقد لجأ أشد الناس تمسكا برأي السلف، رضوان الله عليهم، إلى التأويل في عدة مواطن، وهوالإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، من ذلك تأويله لحديث (الحجر الأسود يمين الله في أرضه)، وقوله صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)، وقوله صلى الله عليه وسلم (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن).

وقد رأيت للإمام النووي رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدع مجالا للنزاع والجدال، ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلا وشرعا، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين.

قال الرازي في كتابه (أساس التقديس): (ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هوالقانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيق).

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل في الجملة، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع، وهو هين كما ترى، وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والله حسبنا ونعم الوكيل (رسالة العقائد حسن البنا).

رابعا : الحكم بما أنزل الله

ا- فقد نفى سبحانه الإيمان عمن لم يحكّم الرسول صلى الله عليه وسلم في القضايا التي يخاصم فيها، فقال تعالى " **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**" (النساء:65).

يقول ابن كثير : يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا قال "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).

وفي الطبري : قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله "فلا" : فليس الأمر كما يزعمون: أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدّون عنك إذا دعوا إليك يا محمد، واستأنف القسم جل ذكره فقال "وربك" يا محمد " لا يؤمنون" أي: لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك، "حتى يحكموك فيما شجر بينهم"، يقول: حتى يجعلوك حكمًا بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه.

وفي مجموع فتاوى ابن باز : "قوله تعالى : (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) عامة على ظاهرها، فلا يجوز للمسلمين أن يخرجوا عن شريعة الله، بل يجب عليهم أن يحكموا شرع الله في كل شيء، فيما يتعلق بالعبادات، وفيما يتعلق بالمعاملات، وفي جميع الشؤون الدينية والدنيوية، لكونها تعم الجميع، ولأن الله سبحانه يقول : **(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** ويقول : **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** فهذه الآيات عامة لجميع الشؤون التي يتنازع فيها الناس ويختلفون فيها، ولهذا قال سبحانه : (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ) يعني الناس من المسلمين وغيرهم ... وهذا الإيمان المنفي هو أصل الإيمان بالله ورسوله بالنسبة إلى تحكيم الشريعة والرضا بها والإيمان بأنها الحكم بين الناس، فلا بد من هذا، فمن زعم أنه يجوز الحكم بغيرها، أو قال إنه يجوز أن يتحاكم الناس إلى الآباء أو إلى الأجداد أو إلى القوانين الوضيعة التي وضعها الرجال سواء كانت شرقية أو غربية، فمن زعم أن هذا يجوز فإن الإيمان منتف عنه، ويكون بذلك كافرا كفرا أكبر.

وعند السعدي : فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. ومَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر.

ب- وقد نص الله تعالى على أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، ظالم، فاسق، كما قال الله تعالى "**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**"،

"وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"، "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (المائدة: الآيات 47/45/44).

وقد أمر الله رسوله بأن يحكم بين الناس بما أنزل الله وحذره من اتباع أهوائهم، لما في ذلك من فتنة عن بعض ما أنزل الله عليه، وجعل الحكم بغير ما أنزل الله من حكم الجاهلية، فقال تعالى: (**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) (المائدة:50/49).

ج- فاعتقاد وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله ووجوب الحكم به من صميم الإيمان، وتجويز التحاكم إلى غير ما أنزل الله مما يخالف شرع الله من صميم الكفر، ووجوب الحكم بما أنزل الله فرض، والحكم بغير ما أنزل الله في بعض الجزْئيات مع اعتقاد عدم جواز ذلك من الكبائر لأنه كفر عملي، ويجب حمل بعض كلام السلف الذين قالوا: إنّ الحكم بغير ما أنزل الله كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، على هذا المعنى، وهو أن يحكم الحاكم الذي يؤمن بوجوب الحكم بما أنزل الله، في بعض القضايا بغير شرع الله، بسبب قرابة أو أخذ رشوة، أو ما شابه ذلك، **أما من حكم بغير ما أنزل الله، ولو في قضيّة واحدة، معتقداً أن ذلك جائز فهو كافر كفراً أكبر مخلّد في نار جهنم** (راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي).

قال ابن القيم رحمه الله (والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفرٌ أكبر، وإن جهله وأخطأه، فهذا مخطئ له حكم المخطئين) (نقلا عن عبد الله قادري في كتاب الإيمان هو الأساس).

وأما تعدد الأوصاف وأنهم الكافرون والظالمون والفاسقون، كما في الآيات الأُخرى، فقد ذكر الرازي عن القفّال أن (كل ذلك صفات مختلفة لموصوف واحد) (تفسير الرازي).

د- **وتشريع شيء مخالف لحكم الله وسنّه قانوناً بالكتابة هو أعتى من نطق اللسان، فيكون كفراً**، وإنما ننفي الكفر عمن يقر بلسانه ويخالف بفعله (أصول الإفتاء للراشد).

ويقول الطبري في تفسير آية سورة النساء "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**" (النساء 60) : قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد، بقلبك، فتعلم الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من

دون حكم الله، "وقد أمروا أن يكفروا به" يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوتُ الذي يتحاكون إليه، فتركوا أمرَ الله واتبعوا أمر الشيطان، "ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا" يعني: أن الشيطان يريد أن يصدَّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالا بعيدًا، يعني: فيجور بهم عنها جورًا شديدًا.

وذكر البغوي في معالم التنزيل في سبب نزول الآية انها كانت في اختصام منافق ويهودي، وفي نهاية القصة: فَأَتَيَا عُمَرَ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: اخْتَصَمْتُ أَنَا وَهَذَا إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَضَى لِي عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ مخاصم إِلَيْكَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْمُنَافِقِ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُمَا: رُوَيْدَكُمَا حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمَا، فَدَخَلَ عُمَرُ الْبَيْتَ وَأَخَذَ السَّيْفَ وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَضَرَبَ بِهِ الْمُنَافِقَ حَتَّى بَرُدَ، وَقَالَ: هَكَذَا أَقْضِي بَيْنَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَضَاءِ رَسُولِهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وفي تفسير الجلالين: ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله.

وقال ابن كثير : هذا إنكار من الله، عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، والآية عامة لمن عدل

عن الكتاب والسنّة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا.

هـ- ويقول الشيخ مناع القطان **(وعندي أنّ هؤلاء الحكّام في زماننا وصلوا إلى درجة الكفر فعلا**، ولم يقفوا عند الفسق ودليل ذلك: استقتالهم في وضع القوانين العلمانيّة، وليس من معنى لذلك إلاّ أنّهم يرون عدم صلاحية الإسلام، وهم يرون أنّ العقوبات وحشيّة، وتصدر من بعضهم سخريّة بالإسلام ... وقولهم: لا دين في السّياسة ولا سياسة في الدّين، وهذا يعني أنّه لا صلة للإسلام بالحكم، وما دام الأمر وصل إلى حدٍ كهذا فالأمر كفر، والمعيشة في ظلّه تجعل المسلمين جميعاً آثمين، والواجب الكفائي يدعونا لمنازعتهم ... **فالحكم من صميم الاعتقاد، وإذا لم يكن الحاكم مكرهاً أو مُضطرّاً لعدم الحكم بالإسلام فكفره كفر اعتقادي، هذا ما يراه أهل السّنّة والجماعة وما تذكره النّصوص)** (أصول الإفتاء للراشد).

والأدلة في الأمر عديدة، وأقوال العلماء واضحة في أن الحكم بما أنزل الله من صميم الإيمان، وأن انتفاؤه ينفي أصل الإيمان، **مع مراعاة التفريق بين كفر الفكرة والنظام وكفر الأعيان الذي يتوجب إقامة الحجة فيه والاستتابة.**

خامسا : الكفر بالطاغوت

والطاغوت هو كل ما عبد أو اتبع مما خالف الكتاب والسنة وشريعة الإسلام، فمخالفته جزء من معنى الشهادة، وهي قول (لا إله) من (لا إله إلا الله) فإن معناها الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، والعبودية خضوع واتباع كما سيأتي.

قال تعالى ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)، (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)، فجعل الله الكفر بالطاغوت أساسا من أسس الإيمان، وأمر المؤمنين أن يكفروا به.

ومن إشكاليات الكفر بالطاغوت في زماننا المعاصر:

كل دعوات التقريب بين الأديان،

والتعايش بين الأديان في غير تطبيق الإسلام والانقياد له،

والقناعات بفلسفات ومبادئ ونظم غير الإسلام،

والولاء على غير أساس الإيمان كما سيأتي،

فكل ذلك يناقض الكفر الواجب بالطاغوت، ويجعل إيمان الفرد ناقصا في أساسياته.

سادسا : الولاء والبراء

تعد عقيدة الولاء والبراء جزءا أساسيا من الإيمان والتوحيد، والأدلة عليها من القرآن والسنة لا تكاد تحصى، ففي الولاء "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ"، وفي البراء "ومن يتولهم منكم فإنه منهم"، "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ...".

معنى الولاء والبراء

الولاء والبراء في اللغة :

الولاء: مصدر المؤلى، والوالي: المعتق والحليف، والولي والموالاة : اتخاذ المولى. **الولي** في **اللغة:** القرب والدنو، والوَليُّ والمؤلى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في **معنى** الفاعل أي المؤالِي وفي **معنى** المفعول أي المُوالَى: يقال للمؤمن هو ولي الله، ويقال الله ولي المؤمنين.

البراء: برئ إذا تخلّص، وبرئ إذا تنزّه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى" بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

إذن الولاء لغة يطلق على عدّة معان منها: المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء، والدنو منه.

والبراء لغة يطلق على عدة معان أيضاً منها: البعد، والتنزه، والتخلص، والعداوة.

الولاء والبراء شرعاً :

الولاء: هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الصالحين ونصرتهم.

والبراء: هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الصالحين، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان، بحسب قدر المخالفة، وبحسب القدرة والإمكان.

أهمية عقيدة الولاء والبراء

1- الولاء والبراء شرط في الإيمان:

قال تعالى" تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذه الآية (فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء

المشروط، فقال: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْلهِ والنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء}، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب).

وما أجمل تلك العبارة التي سطرها أبو الوفاء بن عقيل قائلاً: **إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة.**

2- الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: (أي عرى الإيمان أوثق؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال (الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) حسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) البخاري.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك،

واشترِط عليّ فأنت أعلم، قال: (أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين) صححه الالباني وشعيب الارناؤوط وابن باز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحبّ ما أحبّه الله، ويبغض ما أبغضه الله.**

منزلة عقيدة الولاء والبراء

أولاً : أنها جزء من معنى الشهادة، وهي قول (لا إله) من (لا إله إلا الله) فإن معناها البراء من كل ما يُعبد من دون الله. قال تعالى ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به).

ثانيًا : أنها شرط في الإيمان كما سبق، كما قال تعالى (ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون).

ثالثًا : أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان كما سبق، لما روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

رابعًا : أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان ولذة اليقين، لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه.

خامسًا : أنها الصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم "إنما المؤمنون إخوة".

سادسًا : أنه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله، لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك).

سابعًا : أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر كما سيأتي، قال تعالى "ومن يتولهم منكم فإنه منهم".

ثامنًا : أن كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها.

أقسام الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من نحبّه محبّةً خالصة لا معاداة معها: وهم المؤمنون الخلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدّمتهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم، "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ".

القسم الثاني: من نحبّه من وجهٍ ونبغَضه من وجه، فيجتمع فيه المحبّة والعداوة: وهم عصاة المؤمنين يحَبّون لما فيهم من الإيمان، ويبغَضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل ينكَر عليهم، ويؤمَرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفّوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يبغَضون بغضاً خالصاً، ولا يحبّون ويوالَون حباً وموالاة خالصَين، بل يُعتدَل في شأنهم على ما ذكرنا.

القسم الثالث: من نبغَضه ونعاديه معاداة خالصة لا محبّة ولا موالاة معهما: وهم الكفار الخلّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"، "تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَـكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ".

وتنقسم الموالاة المحرمة إلى قسمين :

موالاة مطلقة عامّة للكفار: وهذا كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: 51]، بحب الكافرين وحب دينهم، والفرح بانتصارهم، والذب عنهم، والسعي في نصرتهم، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر.

موالاة خاصة: وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في إفشاء سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه مكة، كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة.

وضابطها أن يحب الكافر لأمر دنيوي، لا لدينه، ولا ينصره على المسلمين بغرض ظهور الكفر، يحبهم وينصرهم لغرض دنيوي؛ مثل: المال، الرياسة، حماية منصبه، **وحكمه: كبيرة من الكبائر.**

والله نهى عن تولي الكفار وعن موالاتهم، توليهم: كفر مخرج من الدين، وموالاتهم: كبيرة يترتب عليها نقص الإيمان الواجب، فيجب على كل مؤمن ألا يوالي الكافرين.

مظاهر الولاء للمؤمنين

1- **الود والمحبة:** وهذا يعني أن يحمل المسلم لأخيه المسلم كل حب وتقدير، فلا يكيد له ولا يعتدي عليه ولا يمكر به، بل يمنعه من كل ما يمنع منه نفسه، ويدفع عنه كل سوء يراد له، ويحب له من الخير

ما يحب لنفسه، "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"، قال صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم.

2- **النصرة والتأييد بمناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم:** وذلك في حال ما إذا وقع على المسلم ظلم أو حيف، فإن فريضة الولاء تقتضي من المسلم أن يقف إلى جانب أخيه المسلم، يدفع عنه الظلم، ويزيل عنه الطغيان، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يديه، أي تمنعه من الظلم) رواه البخاري، فبهذا الولاء يورث الله عز وجل المجتمع المسلم حماية ذاتية، تحول دون نشوب العداوات بين أفراده، وتدفعهم جميعا للدفاع عن حرماتهم، وعوراتهم، "فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا".

3- **النصح لهم والشفقة عليهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم:** فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال (بايعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) متفق عليه.

4- **الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين:** "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا . إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً"، "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، وقال صلى الله عليه وسلم (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)، صححه الشوكاني وأحمد شاكر ، وحسنه السيوطي والالباني.

5- احترام حقوقهم، فلا يبيع على بيعهم، ولا يسوم على سومهم، ولا يخطب على خطبتهم، ولا يتعرّض لما سبقوا إليه من المباحات.

6- الدعاء لهم والاستغفار لهم، "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ".

7- **اتباع الرسول والمؤمنين والتشبه بهم** ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115].

مظاهر الولاء المحرمة

أولًا: الموالاة المحرمة التي تخرج صاحبها من الملة :

1- من أطاع الكفار في التشريع والتحليل والتحريم فأظهر الموافقة في ذلك، فهو كافر وخارج عن الملة:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ" [آل عمران:100]، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ" [آل عمران:149]، "وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" [الأنعام: 121،. فصرح تعالى بأنهم مشركون في طاعة أولئك الكفار، حينما وافقوهم في تحليل أو تحريم.

"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ" [محمد:25، 26]، فهذا النوع من الموالاة كان سبباً في ردة أولئك القوم، ولذا يقول ابن حزم: فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم الحق، وبعد أن تبيّن لهم الهدى بقولهم للكفار ما قالوا فقط، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم.

"أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ" [الحشر:11]، فتلك الآيات الكريمات قد قررت أن بعضاً من الطاعة لأولئك

الكفار هي ردة عن دين الإسلام، كموافقتهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو المظاهرة على محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء مفصلاً في كتب التفسير.

2- **الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة:** "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"، "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"، "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به"، وعن أبي مالك سعد بن طارق عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبَد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله)، رواه مسلم وغيره.

3- **ولاء الود والمحبة للكافرين:** فقد نفى الله عز وجل وجود الإيمان عن كل من وادَّ الكافرين ووالاهم، "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا

عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون" (المجادلة:22)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: 1].

4- **ولاء النصرة والتأييد للكافرين على المسلمين:** ذلك أن الإسلام لا يقبل أن يقف المسلم في خندق واحد مع الكافر ضد إخوانه المسلمين "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا" (النساء:144)، "ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون" (المائدة:81)، يقول ابن تيمية عن هذه الآية : (فذكر جملة شرطية تقتضي أن إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف لو التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال "ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء" فدلّ ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، فلا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب).

5- **طاعتهم والتشبه بهم في أمر يوجب الخروج من الدين:** كتعظيم عيدهم تبجيلًا لدينهم، أو أن يلبس الصليب تبركًا مع علمه أنه شعارهم، وإذا تشبه بهم مطلقًا في الظاهر والباطن، أو تشبه بهم في

أمر يوجب الخروج من الدين، فقد كفر، قال صلى الله عليه وسلم: (مَن تشبه بقوم فهو منهم)، أي: صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا كان حكمه الكفر، وإن كان معصية كان حكمه كذلك، أما لبس ما هو شعار للكفار، فهذا يكفر به، قال الإمام النووي رحمه الله في روضة الطالبين (ولو شد الزنَّار على وسطِه كفر)، والزنار: حزام يشده النصراني على وسطه، وهو شعار للنصارى يربطه أحدهم على وسطه، كما يعلقون الصليب وغيره من شعاراتهم.

ثانيا: الولاء المحرم ولكنه لا يصل بصاحبه إلى حد الكفر، لكنه يعد من الكبائر:

1- **الاستعانة بالكافرين أولياء أو متسلطين بأي نوع من التسلط على المسلمين:** "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" (النساء:141)، ولأن أبا موسى الأشعري قدم على عمر رضي الله عنه ومعه كاتب نصراني فانتهره عمر وقال (لا تأمنوهم وقد خونهم الله، ولا تدنوهم وقد أبعدهم الله، ولا تعزوهم وقد أذلهم الله)، ويقول النووي فيما نقله صاحب الكفاية: (لأن الله تعالى قد فسّقهم فمن ائتمنهم فقد خالف الله ورسوله وقد وثق بمن خونه الله تعالى)، قال ابن القيم رحمه الله (ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت توليتهم نوعًا من توليهم، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة

والولاية أبدًا، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا، والولاية صلة، فلا تجامع معاداة الكفر أبدًا).

2- **اتخاذهم أصدقاء وأصفياء:** قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون" (آل عمران:118)، قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية (لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين .. فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء، ثم عرفهم ما هم منطوون عليه من الغش والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم ومن مخالتهم). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل) صححه ابن باز وحسنه ابن حجر.

3- **البقاء في ديار الكفر دون عذر:** "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا" (النساء:97-98)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)، صححه الشوكاني وأحمد شاكر، وحسنه السيوطي والالباني، وعن جرير رضي الله عنه

(بايعت رسول الله على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فِراق المشرك) صححه الالباني.

4- **السفر إلى بلاد الكفار من غير حاجة:** مثل السفر إلى بلادهم من أجل السياحة ونحوها، فهو سفر محرم؛ لما فيه من تعريض دين المسلم وخلقه لخطر من غير ضرورةٍ ولا حاجة، فيحرم على المسلم أن يسافر إلى بلد الكفار من غير ضرورةٍ، ولا حاجة؛ كعلاج أو تجارة أو تعلم علم لا يوجد عند المسلمين جائز تعلمه أو فرارا بدينه من ظلم، أو لحاجة الدعوة إلى الله، فإذا انتهت الحاجات وجب الرجوع إلى بلد الإسلام.

5- **التشبه بهم في هديهم الظاهر ومشاركتهم أعيادهم:** قال صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقوم فهو منهم) صححه ابن تيمية والالباني والعراقي، لأن المشابهة في الأمور الظاهرة تورث نوعًا من محبة ومودة وموالاة في الباطن، أما لو شارك في أعيادهم إقرارًا بصحة اعتقاداتهم الباطلة في هذه الأعياد؛ كاعتقاد النصارى في عيد القيامة (موت المسيح وصلبه وقيامه من الموت)، فهذا من الكفر الأكبر المخرج من الملة؛ لِما فيه من تكذيب القرآن وتصحيح عقائد الكفار.

6- **محبة الكفار لأجل دنياهم، أو لأجل قراباتهم:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: 23].

7- **نصرتهم على المسلمين لأجل الدنيا (مصلحة دنيوية):** مثل المنصب أو المال أو غيره، وليس لأجل إعلاء شأنهم على المسلمين، والدليل: قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: 1]. أما إن كان ولاء النصرة والتأييد للكافرين على المسلمين، فهو مخرج من الملة كما سبق.

8- **الركون إليهم :** "وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا"، "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ."

قال القرطبي (قوله تعالى: "وَلاَ تَرْكَنُواْ"، الركون حقيقة الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به، قال قتادة: لا تودّوهم ولا تطيعوهم، وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم، وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم، وكلّه متقارب. وقال ابن زيد: الركون هنا الإدهان، وذلك ألا ينكِر عليهم كفرَهم. وقوله تعالى: "إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ" قيل: أهل الشرك، وقيل: عامة فيهم وفي العصاة ... وهذا هو الصحيح في معنى الآية، وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإنّ صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودّة).

9- مداهنتهم أو مجاملتهم على حساب الدين (ما لم يكن كفرًا) : ومعنى ذلك موافقتهم على شيء من باطلهم على سبيل المجاملة؛ قال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: 9].

ربما ظن البعض أن معاداة الكافرين تقتضي أن يقطع المسلم كل صلة بهم، وهذا خطأ، فالكافر غير المحارب إن كان يعيش بيننا، أو سافرنا نحن لبلاده لغرض مشروع، فالاتصال به ومعاملته يوشك أن يكون ضرورة لا بد منها، فالقطيعة المطلقة سبب للحرج الشديد بلا شك، ثم هي قطع لمصلحة دعوتهم وعرض الإسلام عليهم قولا وعملا، فيضبط الأمر بالضوابط الشرعية.

إشكاليات معاصرة في الولاء والبراء

أولاً: التقريب بين الأديان:

مصطلح التقريب بين الأديان، **قد يُراد به الخلط بين الإسلام وغيره مثل اليهودية والنصرانية، وهذا من نوع الولاء المخرج من الملة كما سبق،** ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85]، ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 48]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: 6]، ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: 120]، ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 109].

وقد يُراد به التعامل والتعايش معهم، فهو يخضع للضوابط الشرعية العامة بالنسبة لسكان الدولة الإسلامية، ثم لقواعد السياسة الشرعية بالنسبة للدول الكافرة، ثم لأحكام الضرورة التي تقدر بقدرها، والتي تجب إزالتها للعودة إلى الحكم الأصلي.

ثانيًا: الموالاة على أساس الأنساب والقبائل والفرق والأحزاب:

وفيها ينعقد الولاء والبراء على الوطن والقبيلة والجنس.

كُنَّا في غَزَاةٍ – قالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً في جَيْشٍ – فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلْأَنْصَارِ، وقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذلكَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: **(ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)** قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ **(دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ)**، البخاري ومسلم.

وهذا لا يعني التنكر للمشاعر الفطرية من حب بلد النشأة والذكريات فيها، وإنما النهي القاطع عن أن يتحول الانتماء إلى الوطن إلى معقد ولاء وبراء، وأن يكون بديلاً من عقد الموالاة على أساس الإيمان بالله ورسوله، أو مساويا أو قريبا منه.

وقد نجح إعلام الكفار والمنافقين في أن يزعزع ولاء الكثير من المسلمين اليوم لدينهم وعقيدتهم بالشكل الشرعي الصحيح، وحوله إلى انتماء عاطفي، وانفعالات، مع جهل شرعي كبير بالكثير من الأصول والقواعد الشرعية، ومنها الولاء والبراء، وغرس الانتماء للأرض وللقوم وللجنس بديلا عن عقيدة الولاء والبراء.

ثالثًا: الموالاة على أساس النظم والأفكار والفلسفات :

ومثله أن يكون الولاء والبراء، أو الانتماء، على أساس المبادئ أو الأفكار أو الفلسفات المناقضة للإسلام، كالعلمانية، أو الليبرالية، أو الديمقراطية، أو الشيوعية، أو القومية، أو البراجماتية، أو غيرها.

والإسلام لا يمنع التعامل مع الآخرين بالضوابط الشرعية، ولتحقيق مصالح المسلمين، ولكن المحظور والممنوع قطعا أن يتحول هذا التعاون إلى تميع وتنازل يؤثر على الولاء والبراء.

إن كل ما خالف القرآن والسنة ونهج الإسلام يسمى في الشرع طاغوتا، وقد أمرنا أن نكفر به، وذلك جزء أساسي من الإيمان كما سبق، "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"، "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به".

رابعا: الموالاة على أساس الأفراد :

سواء أعلن اتخاذه إلها، أو خضع له واتبعه فيما يقول ويفعل، فهي عبادة له، كمن رضي بألوهية فرعون، أو كمن عبد المسيح عليه السلام أو عزير أو الملائكة أو الجن، أو كمن اتخذ وليا من دون الله أو شريكا، "أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا"، "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبوهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله"، قال الطبري: "الأنداد" في هذا الموضع، إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى، حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي قال: الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعَصَوا الله.

خامسا: السياسيون ودعوات التصالح والتفاوض والتوافق والاصطفاف:

لقد ابتلي المسلمون في هذا الزمان بالسياسيين من الإسلاميين، الذين تفلتوا من فرائض كبرى في الإسلام مثل وجوب الحكم بما أنزل الله، والولاء والبراء، ووجوب الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، بتأويلات فاسدة، أو تسويفات مضيعة، متبعين مفاهيم وأساليب السياسة الغربية العلمانية، إلا من رحم الله منهم، بل وجدنا ممن ينتمون إلى طائفة العلماء من ينظّرون لجواز ترك الأيديولوجية واستخدام الآلية، وهي التي أنشئت أساسا لتحقيق هذه الأيديولوجية، وتحديدا الديموقراطية، والتي تقوم على الإلحادية، أو تساوي الأديان في أحسن الأحوال، وترفض رفضا قاطعا أن يحكم دين، وغير ذلك كثير من دعاة الاصطفاف والتفاوض والتنازل والتميع والجبهوية التي لا تقوم

على الإسلام، وغيرها، وهذا كله خرق لعقيدة الولاء والبراء، وتمايز المسلمين عن غيرهم، وتمييع لدين المسلمين.

سابعا : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب المنزلة والقدر

وهو المفهوم المعروف الشائع الصحيح لدى عموم المسلمين، والذي يتداوله العلماء والدعاة كثيرا في كلامهم وكتاباتهم عن الإيمان، **وأشهر أدلته من القرآن** "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ **وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (البقرة 177)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**" (النساء136)، "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلً . أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**" (النساء 150، 151).

ومن السنة حديث جبريل الشهير في صحيح مسلم وفيه: قال: أخبرني عن الإيمان، قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، وغيرها كثير.

الفصل الثانـي

مفهوم العبوديـة والدين

أولا : مفهوم العبودية

وملخص مفهوم العبودية كلمتان : الأولى **الخضوع والتسليم** (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)، (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)، والثانية **الاتباع** (قل أطيعوا الله وأطيعوا)، (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا)، (وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ).

ذكر الرازي في تفسيره معنى العبادة فقال" العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به؛ لمجرد أمر الله تعالى بذلك، وهذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح"، ووافق الرازي في تعريفه ما ذهب إليه الشافعي، حيث يرى أن العبادة كل ما أمر الله به فعلا، وكل ما أمر بالكف عنه تركا.

فمن خضع لشخص أو فكرة أو نظام (مخالفا لدين الله)، واتبعه، فقد عبده من دون الله، أو أشركه مع الله في العبادة، خلافا للمفهوم الساذج الجاهل الشائع بأن العبادة هي السجود لصنم فقط، وقد وصف القرآن العبادة أحيانا

بالحب وهو جزء من الخضوع (والذين آمنوا أشد حبا لله)، ووصفها في حالات **بالاتباع :**

(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)،(أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَممنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ)، (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء).

لذا وجب على المؤمن أن يدقق في حاله وسلوكه لئلا يقع في مثل ذلك فيضيع دينه وآخرته، وليحذر من الأفكار والفلسفات والمناهج المطروحة اجتماعيا وفي السياسة وعلى النت، والتي تخالف الإسلام وتناقضه، وتلبس على الناس دينهم، فأنت عبد لله وحده بلا شريك، تحبه وتخضع له، وتتبع أمره.

ثانيا : مفهوم الدين في الإسلام

ا- إن مفهوم الدين أشمل من مفهوم العقيدة، وهو في الإسلام يقوم على العقيدة، فالدين هو النظام والمنهج الذي شرعه الله لعباده المؤمنين، لينظم حياتهم كلها، وهو يقوم على الإيمان بمكوناته التي سبق شرحها، قال تعالى **(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)** (يوسف)، **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى 21)**، فمن كان فى نظام الله وشرعه فهو فى دين الله، ومن كان فى نظام الملك وشرعه فهو فى دين الملك، ولا جدال فى هذا، فالكفر بالطاغوت

جزء أساسي من الإيمان، والذين يجهلون مدلول الدين الصحيح هذا لا يُمكن أن يكونوا معتقدين بهذا الدين فعلا، وكما يريد الله، لأن الجهل هُنا وارد على أصل حقيقة الدين الأساسية.

ب- وليس المقصود هنا إصدار أحكام على عقائد الناس ودينهم، فالحكم العام يختلف عن الحكم على الأعيان والأفراد، حيث تجب إقامة الحجة على كل منهم وتمييز موقفه واستتابته، لكن المقصود هو بيان مدى خطورة الفهم الخاطئ للدين، وحصره في شعائر تعبدية، وعبادات فردية عينية، وإهمال باقي فرائض الدين الكبرى وهي فرائض الكفاية، خاصة في زمان أصبحت فيه فرائض الكفاية فرائض عين لعدم اتمام الكفاية فيها.

ج- إن هذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة، فكما يقول حسن البنا رحمه الله : الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

د- فإما شريعة الله وإما أهواء الذين لا يعلمون، (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، إنها شريعة واحدة التي تستحق الاتباع، وما عداها أهواء مُتبعة، وعلى صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها ويدع الأهواء كلها، وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء

من الأهواء، وأصحاب الأهواء يتساندون فيما بينهُم ضد صاحب الشريعة، فلا يجوز أن يأمل فى بعضهم تحت أي مسمى أو مبرر.

إن هذا الدين جد، وقد جاء ليحكُم الحياة، جاء ليُعبّد الناس لله وحده وينتزع من المغتصبين لسلطان الله هذا السلطان، فيرد الأمر كلهُ إلى شريعة الله لا إلى شرع أحد سواه، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

هـ- إننا نجد حتى الغيورين على الإسلام يتحدثون لتصحيح شعيرة تعبُدية، أو لاستنكار انحلال أخلاقى، أو لمُخالفة من المخالفات، وهو حق، ولكنهم لا يتحدثون عن أصل الحكم بما أنزل الله وموقعه من العقيدة الإسلامية والدين، يستنكرون المنكرات الجانبية الفرعية، ولا يستنكرون المُنكر الأكبر، وهو قيام الحياة فى غير التوحيد، أى على غير إفراد الله سبحانه وحده بالخضوع والاتباع في كل شيء.

و- إنه يجب أن تكون الوقفة الأولى للمسلم أمام أي شرع أو نظام أو وضع ليس الحكم فيه لله وحده وشريعته، وقفة الرفض والتبرؤ مُنذ اللحظة الأولى، دون الدخول فى أية محاولات للبحث عن مُشابهات أو مُخالفات بين شيء من هذا كُله وبين ما في الإسلام.

وأيُما ناس تلقوا التشريع من بشر وأطاعوه فقد عبدوه، حتى لو كانوا علماء، يفتون بغير الحق ويضلون الناس (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)، فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم (بلى إنهم أحلّوا

لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم) (الترمذى وابن سعد والبيهقي، وحسنه الالباني، وقال ابن باز حديث عظيم مهم).

ثالثا : صور من الشرك في زماننا المعاصر

(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) (النساء 48)، (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف 110).

الشرك من نواقض الإيمان كما يقول العلماء، وقد فرق بعضهم بين الأصغر والأكبر منه، وهو موجود بتفصيل في مظانه من المراجع والمواقع الموثوقة، لكن الذي يعنينا هنا هو الجانب التطبيقي والواقعي في الحياة المعاصرة لجهل الكثير من المسلمين بأنه شرك، بعضه مخرج من الملة بالكلية، وبعضه من أكبر الكبائر، وفيما يلي أهم وأوضح الحالات العملية في سلوك الناس، والتي تناقض الإيمان، أو على الأقل حقيقته.

ا- الشرك بالطاغوت :

وكما سبق فإن **الطاغوت هو كُلُّ ما عُبد واتبع من دون الله من متبوع أو مطاع**، وله أنواع وأشكال منها:

1- **شرك الفلسفات والأفكار والمبادئ**، سواء كان بتفضيلها مطلقا على الإسلام، أو بإشراكها مع الإسلام في التقدير والاتباع، كالعلمانية، أو

الليبرالية، أو الديمقراطية، أو الشيوعية، أو القومية، أو البراجماتية، أو غيرها من الفلسفات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو القانونية، فإن ذلك شرك صريح أكبر، **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى 21)**، ونذكّر بالتفريق بين كفر الفكرة أو النظام، وبين كفر الأعيان أو الأفراد الذي يستلزم إقامة الحجة وبيان الموقف والاستتابة لكل منهم.

2- **شرك النظام**، ويعني قبول واتباع أي نظام غير الإسلام سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو قانونيا، وهو شرك أكبر لأنه يناقض الحكم بما أنزل الله، كالأنظمة اللبرالية والديموقراطية والاشتراكية والشيوعية والبراجماتية، فكل من رضي وتابع أي نظام غير الإسلام، وهو حال جميع الدول بلا استثناء في زماننا الآن، فقد وقع في هذا النوع من الشرك الأكبر، إلا الكاره الرافض المضطر، **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (الشورى 21)، **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** (المائدة 44)، **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** (المائدة 50)، **(وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)** (الأنعام 121)، ونذكّر بالتفريق بين كفر الفكرة أو النظام، وبين كفر الأعيان أو الأفراد الذي يستلزم إقامة الحجة وبيان الموقف والاستتابة لكل منهم.

3- **شرك الأفراد**، وهو الخضوع والاتباع لفرد مخالف للإسلام، سواء **ادّعى الألوهية** مثل فرعون **(فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين)** (الزخرف 54)، أو **ادّعى النبوة** كذبا كما حدث كثيرا في التاريخ، مثل مسيلمة وغيره، أو كان من العلماء فأفتى بهواه مخالفا للشرع فتابعه البعض في ذلك **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)** (التوبة 31)، فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم (بلى إنهم أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم)**، أو كان حاكما** يحكم بغير ما أنزل الله **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (الشورى 21)، **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** (المائدة 44)، **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** (المائدة 50)، فكل من اتبع أيا من هذه النماذج من الأفراد راضيا فقد وقع في هذا الشرك، ونذكّر بالتفريق بين كفر الفكرة أو النظام، وبين كفر الأعيان أو الأفراد الذي يستلزم إقامة الحجة وبيان الموقف والاستتابة لكل منهم.

ب- **شرك الهوى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)** (الجاثية 23)، وقد يشمل بعض ما سبق من الأنواع، ويشمل أيضا حب الدنيا **(مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا**

لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء 18)، ويشمل أيضا الرغبات والشهوات والطموحات الشخصية المخالفة للإسلام.

ج- **شرك الولاء والبراء والانتماء :** فقد نفى الله عز وجل وجود الإيمان عن كل من وادَّ الكافرين ووالاهم "**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**" (المجادلة:22)، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [الممتحنة: 1]، "**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**" (النساء:144)، "**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون**" (المائدة:81).

ويدخل في هذا النوع من الشرك جعل الولاء والانتماء للقوم أو للوطن أو للعشيرة أو للأسرة أو للفئة أو للحزب، مقدما على الولاء لله ورسوله والمؤمنين، أو مقاربا له، فكل العلاقات والانتماءات والولاءات يجب أن تكون تابعة وخاضعة تماما للولاء لله ورسوله والمؤمنين.

د- **شرك العبادات والشعائر والقربات والسحر** : وفيها نصوص كثيرة، وهي غنية عن الحاجة لبيان لاشتهارها في كتابات وأحاديث العلماء والدعاة، وتعني التوجه بالعبادة أو الشعيرة أو القربة لغير الله، وأما السحر فالاستعانة والتصديق بالجن وقدرتهم، وكل ذلك من الشرك.

هـ- **بين شرك القبور وشرك القصور** : والمقصود بذلك هو التفريق بين نوعي الشرك عند الكثير من العلماء والدعاة، فبينما يحملون على زائري القبور والمتمسحين بها والمتبركين بالمقبورين، ويهاجموهم بشدة، وهو موقف صحيح مقبول لضبط العقائد، أو على الأقل سد ذريعة الوقوع في الشرك الصريح الأكبر، لكنهم على الوجه الآخر يقعون هم أنفسهم في شرك القصور، ونفاق الطغاة من الحكام، وادعاء أحقيتهم بالطاعة الشرعية، بينما هؤلاء لا يقيمون الشريعة ولا يجاهدون في سبيل الله، بل يوالون الكفار بالكلية، ويدفعون لهم الجزية والقربات ليرضوا عنهم، وينصرونهم ويأتمرون بأمرهم، فمثلهم كمثل الأحبار والرهبان الذين تناولتهم الآية (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**) (التوبة 31)، ومن يتابعوهم على ذلك وهم يعلمون الحكم الشرعي لمن لم يحكم بما أنزل الله، والحكم الشرعي لموالاة وتولي الكفار ونصرتهم على المسلمين، فقد اتخذوهم أربابا من دون الله، هذا هو الحق في المسألة، فليختر كل منا موقفه الذي سيلقى الله به يوم القيامة، وخاصة هؤلاء العلماء والدعاة.

خاتمة

وبعد،

فإن إدراكنا أن الكفر بالطاغوت (مع فهم المراد منه)، والحكم بما أنزل الله، والولاء والبراء، هي مكونات عقيدية أساسية داخلة في توحيد الألوهية، ومطلوبة من كل منا، وإدراكنا ما ينبني على ذلك عمليا في حياتنا ومواقفنا وعلاقاتنا، هو العلاج لحالة التخبط في المواقف والعلاقات والتصورات السائدة الآن.

كما أن إدراكنا للمفهوم الصحيح للعبودية (خضوع واتباع)، والمفهوم الصحيح للدين (نظام شامل لكل جوانب الحياة)، سيعينان على مراجعة النفس والمواقف والعلاقات والأداءات في ضوء هذه المفاهيم فتستقيم التصورات والميزان الشرعي على هدى من الله، فنعرف واجبنا العام وواجب الوقت، فنؤسس حياتنا على ذلك، لعل الله أن يتوب علينا ويغفر لنا زلاتنا وتقصيرنا.

وإن فهمنا لصور الشرك العملية التي قد يقع فيها أحدنا وهو لا يدرك خطورة انتمائه أو قناعاته أو أداءاته عقيديا، سيعصم من التردي في هذه الهاوية، وقد يبدو الكلام صعبا أو شديدا، أو يتطلب تغييرا كبيرا في تفكيرنا وانتمائنا وعملنا، لكن الحق أحق أن يتبع، والله أعلم بدينه من أهوائنا ورغباتنا.

أسأل الله أن أكون قد بلغت ولو جزءا من الحق، وشاركت ولو بقدر في التصحيح والإعادة إلى المسار الشرعي والفكري الصحيح في هذا الوقت العصيب، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

المراجع

1. القرآن الكريم.

2. أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة

3. إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

4. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير)

5. إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة

6. الحسين بن مسعود البغوي : معالم التنزيل (تفسير البغوي)

7. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني : درء تعارض العقل والنقل

8. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى

9. جلال الدين السيوطي : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام

10.جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي : تفسير الجلالين الميسر

11.حافظ بن أحمد الحكمي : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

12.حسن البنا : رسالة العقائد

13.سيد قطب : في ظلال القرآن

14.سيد قطب : معالم في الطريق

15.صحيح البخاري

16.صحيح مسلم

17.عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

18.عبد العزيز بن عبد الله بن باز : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة

19.عبد الله قادري : الإيمان هو الأساس

20.فخر الدين الرازي : تفسير الرازي (التفسير الكبير) (مفاتيح الغيب)

21.محمد أحمد الراشد : أصول الإفتاء

22.محمد بن إبراهيم الحمد : توحيد الألوهية

23.محمد بن إبراهيم الحمد : توحيد الربوبية

24.محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)

25.محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية

26.محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)

27.هشام صقر : خلاصات في السياسة الشرعية

الفهرس

المقدمة 2

الفصل الأول : أصول الإيمان 4

أولا : توحيد الربوبية 5

ثانيا : توحيد الألوهية 11

ثالثا : توحيد الأسماء والصفات 18

رابعا : الحكم بما أنزل الله 28

خامسا : الكفر بالطاغوت 34

سادسا : الولاء والبراء 35

سابعا : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب المنزلة والقدر 55

الفصل الثاني : مفهوم العبودية والدين 57

أولا : مفهوم العبودية 57

ثانيا : مفهوم الدين 58

ثالثا : صور من الشرك في زماننا المعاصر 61

الخاتمة 66

المراجع 67

الفهرس 70